مفاهيم الغدير
بين القرآن الكريم ودعاء الندبة

م. أحمد جاسم ثاني
كلية الإمام الكاظم (ع)
للعلوم الإسلامية الجامعة

هذا بحث مختصر يتناول بعض المفاهيم التي تتعلق بواقعة الغدير، ويحاول أن يربط بين نصين مقدسين؛ وهما: القرآن الكريم، ودعاء الندبة، ويأخذ منهما ما يخص هذه الواقعة العظيمة في الإسلام التي سميت بعيد الله الأكبر، ذلك العيد الذي نصّب فيه الإمام علي (ع) أميراً للمؤمنين وخليفة لرسول الله (ص)، إذ أن هناك آيات قرآنية أشارت بشكل مباشر إلى هذه الواقعة، وفي دعاء الندبة ما يؤرخ لمسيرة أمير المؤمنين (ع) مع رسول الله (ص) من بداية حياته الشريفة وحتى استشهاده (ع).

ويروم البحث دراسة المفاهيم التي تتعلق بالغدير دراسة لغوية دلالية ليثبت بالدليل أحقية الإمام علي (ع) بالخلافة وأنه هو المخصوص بالذكر في القرآن الكريم، ثم يربط ذلك بما ورد في دعاء الندبة، مستعيناً ببعض آراء المفسرين واللغويين. ومن الله التوفيق.

معنى الغدير:

تعني لفظة الغدير في اللغةً: (القطعة من الماء يغادرها السيل، أي يتركها)[١].

وقد تطورت دلالة هذه اللفظة منذ السنة العاشرة من الهجرة حينما رجع النبي محمد (ص) من حجة الوداع ووصل إلى الجحفة التي تشكل مفترق الطرق، وقريباً من غدير يقال له (غدير خم) إذ دعا الحجاج بأمر الله تعالى ليبلغهم بأمر الولاية من بعده... فأصبح اسم ذلك المكان ـ الغدير ـ يطلق على اليوم الذي نُصب فيه الإمام علي خليفة لرسول الله ووليا للمؤمنين، وسمي يوم الثامن عشر من ذي الحجة في كل عام بيوم الغدير، وهو من أعظم الأعياد في الإسلام. فهو (الوعاء الذي تصب فيه جميع تضحيات الرسول الكريم (ص)، وهو مخزن الأحكام والآداب التي أوحى الله تعالى إلى رسوله الأمين... والغدير روضة الفضائل والأخلاق والمكارم والمحاسن بل هو المكارم بعينها...)[٢].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور: ٩/٥.

(٢) قبس من الغدير، السيد صادق الحسيني الشيرازي: ١٤ ـ ١٥.

الغدير في القرآن الكريم:

لقد وردت عدة آيات في القرآن الكريم تنص بشكل مباشر أو غير مباشر على هذه الواقعة كما يذكر بعض المفسرين[١] منها:

١- آية التبليغ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (المائدة/٦٧).

٢- آية الولاية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ (المائدة/٥٥).

٣- آية إكمال الدين: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة/٣).

نص دعاء الندبة المشتمل على قصة الغدير:

من المعروف أن دعاء الندبة المندوب قراءته في الجمعة والعيدين والغدير هو مروي عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع)[٢].

ونص الدعاء الذي ذُكرت فيه قصة الغدير تبدأ من قول الإمام(ع): (فلما انقضت أيامه أقام وليه علي بن أبي طالب صلواتك عليهما وعلى آلهما هادياً إذ كان هو المنذر ولكل قوم هادٍ..... وينتهي بقوله (ع): إذ كانت الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)[٣].

أولاً- التبليغ والتنصيب: جاءت الآية الكريمة الأولى بفعل الأمر الصريح "بلّغ" الذي لا يشابهه أمر آخر بهذه الصيغة في القرآن الكريم[٤]، مما يدل على خصوصية هذا الحدث من جهة وأهميته القصوى من جهة أخرى، وتحتوي هذه الصيغة - صيغة فعّل - على تضعيف عين الكلمة، إذ أن الكلمة في العربية توزن بالميزان الصرفي الذي يرجع الكلمة إلى أصلها الثلاثي (فَعَلَ)، فالحرف الأول يُسمى فاء الكلمة، والثاني عين الكلمة، والثالث لام الكلمة، والفعل هنا جاء مشدد العين الذي يقابله حرف اللام في كلمة "بلّغ"، مما يدل على التأكيد والتكرار، أي أن هذا الأمر الإلهي وهو الإبلاغ يجب أن يكون على شكل دفعات وبصورة متكررة؛ وذلك لأهمية الأمر، وهذا ما فعله رسول الله (ص) إذ ذكر موضوع خلافة

---

(١) ينظر: تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي: ١٦٢/١، و١٧١/١، ١٤١/١، ٣٠٧/١، وآيات نزلت في الإمام علي (ع)، آية الله العظمى مكارم الشيرازي: ١١ - ١١٤.

(٢) ينظر: شرح دعاء الندبة، السيد صدر الدين الطباطبائي: ١٠٦.

(٣) مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي: ٥٣٣ - ٥٣٥.

(٤) ينظر: معجم آيات القرآن، د. حسين نصار: ٢٦٠.

علي (ع) على الناس مراراً منذ الأيام الأولى لظهور الإسلام وحتى وفاته[١]. وفي دعاء الندبة يذكر الإمام الصادق (ع) في حديثه عن حياة الإمام علي (ع) ومنزلته من رسول الله (ص): (فلما انقضت أيامه أقام وليه علي بن أبي طالب صلواتك عليهما وعلى آلهما هادياً إذ كان هو المنذر ولكل قوم هادٍ)، أي لما انقضت أيام رسول الله (ص) أقام علياً - نصَّبه خليفة - هادياً، ومن الملاحظ أن كلمة هادياً جاءت حالاً من علي (ع)، فلم يكن هذا المنصب للدنيا ومن أجلها، وإنما لهداية الأمة الإسلامية ولإكمال ما ابتدأه الرسول الأكرم من إبلاغ رسالة السماء، ومما يؤكد ذلك العبارة التي تلت هذه الجملة: (إذ كان هو المنذر ولكل قومٍ هادٍ)، فكما أن محمداً هو المنذر فإن علياً هو الهادي من بعده، وهذا الموقف هو ما أعلنه رسول الله يومذاك، وجسده حسان بن ثابت بشعره قائلاً[٢]:

يناديهم يوم الغدير نبيهم ... بخم وأسمع بالنبي منادياً

فقال: فمن مولاكم ونبيكم ... فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا

إلهك مولانا وأنت نبينا ... ولم تلق منا في الولاية عاصيا

فقال له: قم يا علي فإنني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا

وهذا تأكيد آخر لما ورد في دعاء الندبة في كون الإمام علي هادياً للأمة من بعد الرسول. وثمة وجه ارتباط بين الآية الكريمة وبين عبارات الدعاء، فكأن الآية الكريمة حينما نزلت بالأمر الإلهي للرسول، جاء هذا المقطع من الدعاء إجابة أو بياناً لتنفيذ الرسول هذا الأمر، فقال: (فلما انقضت أيامه أقام وليه ...)، ولسان حال الإمام الصادق يقول: يا رب إن رسولك لما أوشك أن يُدعى إليك أقام وليه علياً وألقى الحجة على الأمة ولكنهم لم يلتزموا بما عاهدوك وعاهدوا رسولك عليه من أمر الولاية والخلافة.

ثانياً- الولي والمولى: ذكر بعض المفسرين من أهل السنة معانٍ كثيرة لكلمة "ولي" وصلت إلى سبعة وعشرين معنى وقد ذكرها العلامة الأميني في موسوعته[٣]؛ زاعمين بذلك أن هذه الكلمة هي لفظ مشترك بين معانٍ مختلفة ولا يعلمون مراد الله تعالى منها، وأي معنى من هذه المعاني هو المقصود في الآية الشريفة، ومن ثم فإن هذه الآية مبهمة ولا تدل على شيء[٤]، ولكن عندما نراجع كتب اللغة وأقوال اللغويين نجد أنهم لم يذكروا لمعنى "الولي" سوى

---

(١) ينظر: آيات نزلت في الإمام علي (ع): ١٣.

(٢) الغدير، الشيخ عبد الحسين الأميني: ٢١٧.

(٣) ينظر: الغدير: ٣٦٢/١.

(٤) ينظر: آيات نزلت في الإمام علي (ع): ٥٣.

اثنين أو ثلاثة معانٍ[١]، وعليه فإن سائر المعاني المذكورة لهذه الكلمة تعود إلى هذه المعاني الثلاثة وهي[٢]:

١- بمعنى ناصر والولاية بمعنى النصرة.

٢- بمعنى القيّم وصاحب الاختيار.

٣- بمعنى الصديق والرفيق.

وفي الاستعمال القرآني وردت كلمة "ولي" و"أولياء" في سبعين مورداً وبمعانٍ مختلفة؛ وهي الناصر والمعين، والمعبود، والهادي والمرشد، والقيم وصاحب الاختيار، وفي ضوء القرائن المتعددة للآية الكريمة - آية الولاية - فإن معنى الولي فيها هو القيم وصاحب الاختيار لا بمعنى الصديق والناصر[٣].

وقد ورد هذا المعنى في دعاء الندبة: (فقال والملأ أمامه من كنت مولاه فعلي مولاه)، في ذلك اليوم العالمي صرح رسول الله (ص) بأمر الله تعالى وأعلن أمام الملأ أن القيّم عليهم من بعده هو علي بن أبي طالب (ع) فهو ولي المؤمنين وإمامهم، ووجوده يمثل خليفة الله في الأرض، فحكمه حكم الله وولايته ولاية الله تعالى؛ لذلك أعقب رسول الله كلامه بالدعاء له قائلاً: (اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله)، فعلي - بناءً على ذلك - هو ميزان الحق؛ لأن من يواليه فإن الله يواليه، ومن يعاديه فإن الله يعاديه، ومن ينصره فإن الله ينصره، ومن يخذله فإن الله يخذله..... ويتبين ذلك من نص الدعاء نفسه، فقد ورد في سياق الدعاء: (ولولا أنت يا علي لم يعرف المؤمنون بعدي وكان بعده هدى من الظلال ونوراً من العمى وحبل الله المتين وصراطه المستقيم).

وهكذا يستمر النبي (ص) بسرد مناقب الأمير (ع) وخصائصه التي لم تكن لأحدٍ قبله ولا بعده: فهو نفس النبي لأنهما من شجرة واحدة، وسائر الناس من شجر شتى وأحله محل هارون من موسى..... لا يسبق بقرابة في رحم ولا بسابقة في دين ولا يلحق في منقبة من مناقبه يحذو حذو الرسول صلى الله عليهما وآلهما ويقاتل على التأويل ولا تأخذه في الله لومة لائم .....

ثالثاً- إكمال الدين وإتمام النعمة: لابد من الوقوف على الدلالة اللغوية لمفردة "الدين"، فمن معاني الدين لغةً: الجزاء والطاعة والإسلام[٤].

---

(١) ينظر: لسان العرب (ولي): ٤٠٦/١٥، والقاموس المحيط، للفيروز آبادي (ولي): ٤٠١/٤، والفروق اللغوية، أبو هلال العسكري (الفرق بين الولي والمولى): ٥٧٧ - ٥٧٨.

(٢) ينظر: آيات نزلت في الإمام علي (ع): ٥٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٥٣ - ٥٥.

(٤) ينظر: لسان العرب (دين): ١٦٩/١٣.

أما الدلالة القرآنية لمفردة "الدين" الواردة في الآية الكريمة فللمفسرين ثلاثة آراء فيها[١]:

١- القوانين، أي أن ذلك اليوم الذي نُصب فيه الأمير كملت فيه قوانين الإسلام فلا يوجد في الإسلام فراغ قانوني أو تشريعي بعد الآن. وقد يُثار سؤال في هذا المعنى، وهو: ما هذا القانون المهم أو الحادثة المهمة التي وقعت في ذلك اليوم وأدت إلى إكمال الدين من قوانين إلهية وتشريعات سماوية؟ وفي الجواب عن هذا السؤال يكمن مضمون الآية الشريفة ودلالتها على مكانة الولاية من الدين.

٢- إن المقصود من كلمة "الدين" في الآية الكريمة هو "الحج" أي أن الله تعالى قد أكمل حج المسلمين في ذلك اليوم.

٣- إن إكمال الدين وإتمام النعمة قد تحقق في هذا اليوم وذلك بأن الله تعالى نصر فيه المسلمين على أعدائهم وخلصهم من شرهم.

وأما مفردة "النعمة" فقد أطلقها القرآن الكريم في هذه الآية على الدين والولاية الدينية[٢]، ومن اللافت للنظر أن إتمام النعمة على الخلق مرتبط بموضوع الخلافة في هذه الآية الكريمة، أي كما أن تحقق كمال الدين ارتبط بالولاية فإن إتمام النعمة أُنيط بإعلانها من قبل رسول الله (ص)، مما يؤدي إلى اتساع دلالة النعمة هنا لتشمل جميع النعم، ظاهرها وباطنها؛ مثل العدل والمساواة والاتحاد والأخوة والعلم والأخلاق والطمأنينة النفسية والروحية والحرية والإحساس بالأمن، وبعبارة أخرى جميع أنواع العطايا[٣].

ورد عن أبي عبد الله (ع) عن أمير المؤمنين (ع) قال: (والله لقد أعطاني الله تبارك وتعالى تسعة أشياء لم يعطها أحداً قبلي خلا النبي (ص) ... إلى أن قال: وأن بولايتي أكمل الله لهذه الأمة دينهم وأتم عليهم النعم ورضي إسلامهم إذ يقول يوم الولاية لمحمد (ص): يا محمد أخبرهم أني أكملت لهم اليوم دينهم ورضيت لهم الإسلام ديناً وأتممت عليهم نعمتي كل ذلك مِنْ مَنِّ الله علي فله الحمد)[٤].

وقد أعلن رسول الله (ص) هذا الأمر المهم الذي به كمل الدين وتمت النعمة أمام الناس جميعاً في يوم الغدير، وأمرهم بأن يبلغ الحاضر منهم الغائب، كما بين منزلة علي (ع) منه، إذ ورد في دعاء الندبة: (ثم أودعه علمه وحكمته فقال أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة والحكمة فليأتها من بابها ثم قال أنت أخي ووصيي ووارثي لحمك من لحمي

---

(١) ينظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري: ١٠٦/٦ - ١٠٧، وآيات نزلت في الإمام علي (ع): ٣٧ - ٣٩.

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٣٩٢/٥.

(٣) ينظر: قبس من الغدير: ١١ - ١٢.

(٤) الخصال، الشيخ الصدوق: ٤١٤ - ٤١٥.

ودمك من دمي وسلمك سلمي وحربك حربي والإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي)، وللنظر بتأمل في هذه الكلمات: أنت أخي ووصيي ووارثي، فهل يعقل أن يؤول أمر الخلافة إلى شخص آخر غير علي (ع) بما يمتاز به من خصائص وردت على لسان رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى؟!

فهل رعت الأمة هذا الحق في عترة رسول الله (ص) من بعده، أم انقلبوا على أعقابهم كما قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (آل عمران/١٤٤)، نعم لم يرعوا حق الله فيهم، ولم يسلم أمير المؤمنين (ع) من غدرهم منذ أن توفي رسول الله (ص) وحتى شهادته (ع) (ولما قضى نحبه وقتله أشقى الآخرين يتبع أشقى الأولين لم يمتثل أمر رسول الله صلى الله عليه وآله في الهادين بعد الهادين والأمة مصرة على مقته مجتمعة على قطيعة رحمه وإقصاء ولده إلا القليل ممن وفى لرعاية الحق فيهم فقتل من قتل وسبي من سبي وأقصي من أقصي وجرى القضاء لهم بما يرجى له حسن المثوبة إذ كانت الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين).

وثمة اقتباس قرآني في الفقرة الأخيرة من الدعاء الذي يحكي مسيرة الإمام علي (ع) وهو: (إذ كانت الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)، وهو اقتباس من قوله تعالى على لسان موسى (ع): ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الأعراف/١٢٨). وفي هذا النص المقتبس عود على بدء، وارتباط خاتمته مع بدايته، إذ بدأ النص بحادثة تنصيب الإمام علي (ع) يوم الغدير وانتهى بسنة من سنن الله في كتابه الكريم؛ ألا وهي سنة الاستخلاف ووراثة الأرض التي وعدها الله عباده المتقين، وهو ما لم يتحقق لأمير المؤمنين (ع) بشكل كامل ولا لولده الأئمة من أهل البيت (ع)، وإنه سيتحقق إن شاء الله تعالى للإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف، إذ يحكم شرق الأرض وغربها ويحقق العدالة الإلهية ويحقق حلم الأنبياء وآبائه الطاهرين (ع)، كما يُرجع كل حق مغتصب لأهل البيت ويقتص من ظالميهم.

الخاتمة:

وفي الختام يتضح جلياً أن هناك نقاط التقاء وثيقة بين كلام الله تعالى وكلام المعصومين (ع) وهذا ليس بغريب إذ أن كلامهم هو كلام رسول الله (ص) وكلام رسول الله هو كلام الله، ونقصد بذلك أنه مطابق لتعاليم الله وتوجيهاته، وفصاحتهم وبلاغتهم وأدبهم من فصاحة القرآن وبلاغته وأدبه، ونخص من بين المعصومين الإمام جعفر بن محمد

الصادق (ع) الذي إليه ينسب دعاء الندبة المشهور، وجاء هذا البحث المتواضع محاولة لتسليط الضوء على بعض مفاهيم الغدير في ضوء القرآن الكريم ونص دعاء الندبة، كاشفاً عن وجه الارتباط بين آيات الولاية في القرآن الكريم وبين نص الدعاء، فقد دار البحث حول أبرز مفاهيم الغدير وهي: (التبليغ، والولي، والدين، والنعمة)، إذ وردت هذه المفاهيم في آيات الولاية وورد ما يقاربها في اللفظ أوَ المعنى في نص دعاء الندبة على لسان رسول الله (ص)، مما يدل على أن هذه الآيات وما احتوته من مفاهيم كانت قد نزلت في حق أمير المؤمنين (ع) ولاسيما في تلك الحادثة المهمة التي بها دكمل الدين وتمت النعمة على الناس، ألا وهي بيعة الغدير، نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل منا هذا اليسير بكرمه ويجعله ذخراً لنا عند مولانا مولى الموحدين الإمام علي بن أبي طالب (ع). والحمد لله رب العالمين.

مصادر البحث:

- القرآن الكريم.
- آيات نزلت في الإمام علي (ع)، آية الله العظمى مكارم الشيرازي، ط/١، ١٤٢٦ هـ، دار جواد الأئمة، بيروت - لبنان.
- تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، ط/٣، ١٤٠٤ هـ، مؤسسة دار الكتب.
- جامع البيان، ابن جرير الطبري، ط/ ١٤١٥ هـ، دار الفكر، بيروت.
- الخصال، الشيخ الصدوق، ط/١٤٠٣،٢هـ، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية/قم.
- شرح دعاء الندبة، السيد صدر الدين الطباطبائي، (د.ت)، (د . ط)، الناشر: السيد جواد المدرسي.
- الغدير، الشيخ عبد الحسين الأميني، ط/٤، ١٣٩٧ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ط/١، ١٤١٢ هـ، مؤسسة النشر الإسلامي.
- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، (د . ط)، دار العلم للجميع، بيروت - لبنان.
- قبس من الغدير، السيد صادق الحسيني الشيرازي، ط/٢، ١٤٢٥ هـ، دار صادق للطباعة والنشر، مطبعة الفرقان، النجف الأشرف.
- لسان العرب، ابن منظور، ط/١، ١٤٠٥ هـ، دار إحياء التراث العربي.
- معجم آيات القرآن، د. حسين نصار، ط/٢، ١٣٨٥ هـ، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، ط/٣، ١٤٢٤ هـ، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.
- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، (د. ت) مؤسسة النشر الإسلامي/ قم.

❖ ❖ ❖